مقدمة

إن قضية الإسلاميين الجدد فى مصر، خاصة بعد أحداث أفغانستان (٢٠٠١) والعراق (٢٠٠٣) صارت من الأهمية بمكان، حيث شغلت، ولا تزال، اهتمامات المراقبين والسياسيين على المستوى المحلى والدولى.. وذلك لأن هؤلاء الإسلاميين يمتلكون قدرات ثقافية وتنظيمية وسياسية أعلى من الأجيال القديمة فى الحركة الإسلامية والتى ترهلت وأصابها الوهن.

إن الغرب وكذلك القيادات الحاكمة فى مصر والعالم العربى تدرك أهمية هذا الجيل الجديد من أبناء الحركة الإسلامية ، وهى لذلك تحاول أن تمنعه من الوصول إلى مواقع التأثير السياسى العلنى بشتى السبل، ومن بينها سبل المنع والحصار، فضلا عن التعذيب والاعتقال..

انطلاقًا من هذه الأهمية وتداعياتها، قمنا بإعداد هذا الكتاب الوثائقى، والذى يحتوى على عصارة البرامج السياسية التى قدمها أبناء هذا الجيل من أجل الحصول على أحزاب شرعية.. وهى: ثلاثة مشروعات سياسية (حزب الوسط - الشريعة - الإصلاح)، وقمنا بدراسة تحليلية وتاريخية، تمهد لفهم هذه الظاهرة «الإسلاميون الجدد» وبرامجها وأفكارها ومآلها، إدراكًا منا للأهمية القصوى التى تقع على عاتق المثقفين من أجل أن يقتربوا ويحللوا هذه الظاهرة . ولهذا فقد قسمنا كتابنا هذا إلى ثلاثة عشر فصلا موزعة على خمسة أقسام أساسية، وشاملة بعض الوثائق والبيانات لهذه المشروعات السياسية، الإسلامية، ونأمل أن يجيب عملنا هذا عن هذه التساؤلات العديدة التى تموج فى الواقع العربى والمصرى عن واقع ومصير هذا الجيل من الإسلاميين الجدد، الذى نأمل له مزيدًا من التقدم الصحيح على طريق نهضة مصر وبناء مشروعها العربى المستقل، ولا يفوتنا هنا تقديم خالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ منتصر الزيات الذى قدم لنا جهودًا مخلصة فى هذا المؤلف.

والله الموفق والمستعان.

أسامة عبدالحق

القاهرة

obeikandl.com

تقديم

الإسلاميون الجدد فى مصر إلى أين؟!

د. رفعت سيد أحمد

عندما أعلن المحامى المصرى البارز/ منتصر الزيات «محامى الجماعات الإسلامية» فى صيف يوليو عام ١٩٩٧م مبادرة القادة التاريخيين للجماعة الإسلامية فى مصر، بإيقاف العنف، والتطورات السياسية والفكرية تتوالى بعدها على الأصعدة كافة، المتصلة بهذه «الجماعة» وبسواها من الجماعات الإسلامية الكبيرة «كالإخوان والجهاد» أو الأحزاب الرسمية ذات الأفق الإسلامى «مثل حزب العمل المجمد حاليًا».. فالمبادرة جاءت فى توقيت مهم، سواء بالنسبة للجماعات الإسلامية بإجمال أو للجماعة الإسلامية بخاصة، والتى كانت تقود وحدها تقريبًا الصدام المسلح الدامى مع النظام السياسى الحاكم طيلة الفترة من ١٩٨١ «عام اغتيال السادات» وحتى عام ١٩٩٧، وتمثلت أهمية التوقيت فى أن المبادرة جاءت والجماعة لازالت قوية ومؤثرة رغم الضربات الأمنية لها. ولعل حادث الأقصر «نوفمبر ١٩٩٧» قد أكد ذلك عمليًا، رغم أنه قد هدد مبادرة إيقاف العنف بالانهيار، إلا أن قادة الجماعة الإسلامية سرعان ما أعلنوا التزامهم الحرفى بالمبادرة، وبأهميتها: مضمونًا وتوقيتًا.

جاءت المبادرة إذن.. وتوالت بعدها الأحداث، والتطورات وتفاعلت لتنتج فى النهاية آثارًا، كان أبرزها إعلان عدد من الذين سبق لهم الانتساب لهذه الجماعات تنظيمًا رغبتهم فى العمل السياسى العلنى من خلال فكرة «الأحزاب السياسية»، بل وشرعوا فعلا فى تأسيس الحزب والتقدم بأوراقه إلى لجنة شئون الأحزاب السياسية يوم ١٩٩٩/١٠/٢ «حزب الشريعة» والذى - رغم رفض لجنة الأحزاب له فيما بعد - إلا أنه مثل فى حينه، ودونًا عن باقى الأحزاب الإسلامية الصاعدة وقتها «الإصلاح - الوسط» نقطة فارقة فى العمل السياسى للحركات الإسلامية «الراديكالية» فى مصر، دويًا وأثرًا لا تزال أصداؤه تترى كما سنرى.

* * *

لقد كان من فوائد مبادرة إيقاف العنف، أن أفرجت السلطات الأمنية المصرية عن قرابة الـ٣ آلاف معتقل سياسى إسلامى من (٣٠ ألف معتقل، محسوبون فى مجملهم على «الجماعة» و«الجهاد»)، إلا أن هؤلاء مثلوا تحديًا سياسيًا -ولا يزال- أمام النظام السياسى، إذ لا بد من استيعاب طاقاتهم وحركتهم وتوجيهها فى الاتجاه الصحيح، تجاه النضال السياسى/ الديمقراطى، وليس النضال المسلح/ الانقلابى، وبقدر ما مثل هؤلاء تحديًا أمام النظام، بقدر ما مثل «مسئولية جديدة» أمام قادة الأحزاب الإسلامية الجديدة، «إذا أسقطنا من الحسبان بعض الرؤى الانتهازية لأحزاب وقوى أرادت الاستفادة العددية والسياسية منهم وليس بهدف مساعدتهم»، وصار هؤلاء الخارجون من السجون «تسميهم أجهزة الأمن بالتائبين، لا نفهم عن ماذا؟ خاصة وفعل التوبة يكون عن كفر دينى صريح وليس عن فعل سياسى مؤثم» ومعهم الأجيال السابقة من أبناء الجماعة الإسلامية، والمنشقون عن «الإخوان المسلمين، نقصد حزب الوسط تحديدًا بمشروعاته الثلاث» وبعض التيارات الإسلامية المستقلة، يمثلون معًا ما يمكن أن نسميه بـ «الإسلاميون الجدد»، وبالقطع لا نقصد بالجدة هنا، جدة العقيدة، بل جدة الالتجاء إلى العمل السياسى العلنى، وإلى النضال السياسى المشروع للوصول إلى «موقع» مؤثر فى أحداث الوطن وقضاياه.

* * *

وكانت البرامج السياسية لهذه القوة الجديدة، معبرة بوضوح قاطع، عن تميز هذا الجيل من الإسلاميين «الجيل الذى عاش وأثر فى حقبتى السبعينيات والثمانينيات فى القرن الماضى بأحداثها الكبار وتحولاتها الدامية» عما سبقه من أجيال داخل الحركة الإسلامية، وفى طريقة تناوله وتعامله مع قضايا الواقع المصرى - العربى والدولى، وكان لخبرة استخدام العنف، ثم الإقلاع عنه، تأثير واضح على خطابهم السياسى العام، انطلق من تجربة حقيقية مؤثرة وليس من تجارب هشة، أو بعيدة الجذور، لقد تميز خطاب هذا الجيل من الإسلاميين الجدد، بنقد لاذع وصريح للأوضاع الاقتصادية والسياسية الحاكمة فى البلاد، ومن تأكيد واضح، ومن السطور الأولى على التمسك بالشريعة الإسلامية كمصدر وحكم ودستور لحركتهم وكإطار جامع لا يمكن التنازل عنه، لقد كانت البرامج السياسية لأحزاب «الوسط بقيادة المهندس أبو العلا ماضى» و«الشريعة بقيادة المحامى ممدوح إسماعيل» و«الإصلاح بقيادة الكاتب الصحفى جمال سلطان»، واضحة فى نبذها للعنف المادى المسلح كآلية وحيدة للوصول إلى الحكم، وإنها قد اختارت طريق العمل السياسى الشرعى بديلا نهائيًا، وأنها رغم ذلك ترى أن العنف السياسى المادى واجب تجاه -فقط- أعداء الأمة وبخاصة الكيان الصهيونى، بل إن «حزب الشريعة» قد فصل باستفاضة فى مسألة المقاومة والمواجهة لهذا الكيان وللآثار السلبية

المترتبة على توقيع بعض الحكومات لاتفاقات معه «تسمى هذه الآثار بالتطبيع»؛ ووضع ٣٢ آلية لمواجهة هذا التطبيع وإفراغ هذه الاتفاقات من مضمونها وجعلها مجرد حبر على ورق.

بل واقترح حزب مثل «الإصلاح» إلى فتح مكاتب تمثيل دبلوماسى لحركات «حماس والجهاد الإسلامى وحزب الله» فى البلاد العربية أسوة بما كان يتم مع منظمة التحرير الفلسطينية فى الستينيات والسبعينيات وباعتبار هذه الحركات، حركات تحرر وطنى، وصار «الوسط» على المنوال نفسه، بل وطالب بأن تصبح المقاومة لهذا العدو واجبًا شرعيًا، وحماية مستقبلية للأمن القومى المصرى والعربى.

* * *

إذن...

الخطاب السياسى لدى الإسلاميين الجدد ورغم تفاوته فى بعض القضايا «الداخلية» و«الخارجية» إلا أنه انطلق من أرضية مشتركة تمتاز بالوضوح والصفاء و«الراديكالية» السياسية أكثر من تلك التى تميز الجيل القديم من الإسلاميين وبخاصة الإخوان المسلمين وكان تميزه فى مسألة الحريات والشريعة الإسلامية ومواجهة المشروع الصهيونى واضحًا، ولكن هذا التميز لم يشفع لهم، بل ربما أضرهم لدى النظام السياسى الحاكم، الذى لم يتلق بترحاب محاولاتهم لتأسيس أحزاب إسلامية جديدة، يتم فيها تفريغ الطاقات والإمكانيات وتوجيهها فى الاتجاه الصحيح، بل وتدريب هذه الأجيال الجديدة على «تطبيع» علاقاتها مع المجتمع السياسى وقضاياه من خلال أدوات شرعية مناسبة كالأحزاب؛ لم يفهم - أو بمعنى أدق - لم يرد النظام السياسى أن يفهم ذلك، وبادر برفض تأسيس هذه الأحزاب وبعضها حاول مرتين مثل: حزب الوسط الذى كان أكثرهم اعتدالا وتم رفضه فى المرتين أيضًا مما أصاب بعض قيادات وكوادر هذه الحركات بالإحباط والحيرة السياسية، خاصة عندما يراقبون المشهد السياسى المصرى العام فيلاحظون أن ثمة أحزابًا ورقية بمعنى الكلمة - قد أعطيت شرعية العمل العلنى «فى مصر ١٦ حزبًا سياسيًا- لا يعلم الناس إلا أسماء أربعة أو خمسة منها بالكاد»، فى حين حجبت هذه الشرعية عنهم وهم يعبرون عن قوى وتيارات حقيقية فى المجتمع، وجعلت بعضهم يتساءلون فى دهشة وربما فى ندم عن جدوى العمل السياسى العلنى مع قوانين وأنظمة لا تسمح لهم بالتنفس السياسى الطبيعى المشروع؟!

* * *

رغم ذلك..

بإمكاننا أن نؤكد أن الكتلة التاريخية، الرئيسية لهذا الجيل من «الإسلاميين الجدد»، مازالت عند قناعتها الجديدة، المؤمنة بالعمل السياسى العلنى، لكن يبقى أمامها العديد من

التحديات، ترسم -فى تقديرنا- خريطة أولية للإجابة عن سؤال: أين تتجه هذه الظاهرة الجديدة - ظاهرة «الإسلاميين الجدد» -؟

أول هذه التحديات:

يرتبط بمدى قدرة، قادة الجماعات على المراجعة السياسية/ الفكرية الشاملة لموروثها الفقهى/ الحركى، وأدبيات عملهم السياسى خلال الربع قرن الماضى، ولعل إصدار أحد هذه التيارات لمجلة فكرية رصينة «مجلة مراجعات: يشرف عليها/ منتصر الزيات المحامى» تعد بادرة طيبة لبدء عملية مراجعة وتقييم وفرز لأطروحات وقضايا تحتاج بالفعل إلى ذلك، مثل: العنف السياسى، والتكفير، والديمقراطية، والمرأة، والمواطنة وغيرها.

ثانى هذه التحديات:

يأتى من قبل النظام السياسى، وجدلية العلاقة معه إذا ما استمر رفضه لإعطائهم شرعية العمل الحزبى الرسمى، وهل يرتب ذلك سلوكًا مغايرًا مستقبلا يستدعى ذاكرة «العنف السياسى» من جديد أم لا؟ وهل ستستمر المبادرات السلمية الرافعة للواء النضال السياسى والعمل العلنى؟ أم ستتراجع وتسقط روافعها نتيجة الإحباط؟

ثالث هذه التحديات:

يتصل بطبيعة العلاقة بين هذه التيارات وبين التيارات الإسلامية القديمة أو تلك العاملة - رسميًا - فى الدولة سواء «الأحزاب» أو «الأزهر» أو الجمعيات الشرعية والأهلية الإسلامية، أو حتى بينها وبين بعضها البعض إذ لمس المراقبون بعض التشاحن والتنافس غير المفهوم بين أطراف هذا الجيل من الإسلاميين الجدد؟ كيف سيتعاملون مع هذه الجمعيات؟ وهل ستسود روح الحوار والتعاون والتفاهم أم سيسيطر الصدام -كما كان- على هذه العلاقات؟!

● تلك التحديات وغيرها التى أتت بها رياح ما بعد ٢٠٠١/٩/١١م واستلزمت فتح آفاق الاجتهاد الإسلامى على مصراعيه لاستقبال التطورات والتعامل معها والاتصال بقضية فلسطين عمليًا، هذا جميعه يمثل فى تقديرنا: مقدمات/ تساؤلات، مطلوب من الإسلاميين الجدد الإجابة عليها لنعرف مصيرهم إلى أين من هنا!!

وهو المصير الذى عليه ستتحدد أمور كثيرة فى مصر، يأتى «الاستقرار السياسى» فى مقدمتها، فأيًا كان موقفنا من هذه التيارات،، وأيًا كان تقديرنا لحجمها وأثرها إلا أنها ولا شك أثبتت أنها رقم صعب تجاوزه فى مجال الاستقرار السياسى العام فى البلاد، وأى

ادعاء غير ذلك، هو إدعاء بلا دليل، والقارئ لتجربة الصدام السياسى بين هذه التيارات والنظام السياسى خلال العشرين عامًا الماضية سيجد ذلك واضحًا لا لبس فيه.

● وعليه، فهذه «التحديات» ترتب بالمقابل، «مسؤليات» على النظام السياسى والقوى الحزبية الرسمية والتيارات القديمة فى الحركة الإسلامية؛ لعل أولها ضرورة مراجعة ذلك الموقف السياسى «المحير» من عدم إعطاء هذه التيارات لرخصة العمل السياسى العلنى فهذا حقها، ووزنها الطبيعى فى المجتمع السياسى العام.

* * *

حول هذه الظاهرة والمقاربات المختلفة لها، والتحديات التى تواجهها، يأتى موضوع هذا الكتاب المهم للكاتب الصحفى الأستاذ/ أسامة عبدالحق: وهو عمل توثيقى بالدرجة الأولى، حيث قدم فيه الكاتب، تحليلا تاريخيًا أوليًا عن هذه التيارات وأفكارها وبخاصة «فكرة الإرهاب والعنف والموقف منهما» ثم تلا ذلك بقراءة تفصيلية فى برامجها السياسية المعلنة «برامج أحزاب الوسط - الشريعة - الإصلاح» فحوارات موسعة مع مؤسسيها ثم مع عدد من الشخصيات الإسلامية البارزة «منتصر الزيات- المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين - ضياء رشوان وغيرهم»، ثم أنهى الكتاب «الذى يقع فى ١٣ فصلا موزعة على ٥ أقسام» بوثائق وبيانات مهمة للإسلاميين الجدد وللإخوان المسلمين أيضًا ونماذج لأهم العناصر «الراديكالية» المصرية التى انضمت إلى تنظيم القاعدة فى ظل رفض العمل السياسى العلنى، بعد أن شعرت بصعوبة تطبيقه على أرض الواقع!!، إنه عمل لا غنى عنه لمن أراد معرفة هذه الظاهرة المهمة فى العمل الإسلامى الراهن، واقعًا ومستقبلا، نرجو من الله أن يتقبله وأن يجزى معدّه عنه خير جزاء.

والله المستعان

د. رفعت سيد أحمد